القيادة الذكية في بدر

تاريخ النشر في جريدة أخبار الخليج: 2 يوليو 2015

بقلم: الدكتور زكريا خنجي

ما زلنا في غزة بدر، ويذكر التاريخ أن النبي صلى اللّه عليه وسلم لم يخرج من أجل قتال المشركين، وإنما كان الهدف الأساسي هو استرجاع بعض من أموال المسلمين التي نهبت بعد أن غادروا مكة، ولكن اللّه كتب عليهم القتال، لذلك لم يكن هناك استعداد لمعركة.

ولكن القائد الذكي يجب أن يضع في اعتباره كل الاحتمالات الممكنة، وهذا ما فعله رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم.

يقول الراوي، فلما صاروا – أي جيش المسلمين – على مقربة من بدر، بدأ النبي صلى اللّه عليه وسلم بحنكة القائد الحصيف يجمع معلومات عن قوة العدو وعدده وقواده؛ فأرسل علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون الخبر له، فقدموا بعبدين لقريش كانا يمدانهم بالماء فأتوا بهما فسألوهما، ورسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قائم يصلي، فقالا: نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء، فكره القوم هذا الخبر ورجوا أن يكونا لأبي سفيان فربما كانت لا تزال في نفوس البعض بقايا أمل في الاستيلاء على القافلة.

لأنهم حتى الآن لم يريدوا ولم يكونوا يتوقعون القتال.

فضربوهما ضربًا موجعًا حتى اضطر الغلامان أن يقولا: نحن لأبي سفيان فتركوهما، وركع رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وسجد

سجدتين ثم سلم وقال: إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذباكم تركتموهما، صدقًا واللّه أنهما لقريش. ثم قال للغلامين: أخبراني عن قريش، قالا: هم واللّه وراء هذا الكثيب الذي ترى، بالعدوة القصوى، فقال لهما رسول اللّه: كم القوم ؟ قالا: كثير، قال: ما عدتهم ؟ قالا: لا ندري، قال: كم ينحرون كل يوم ؟ قالا: يومًا تسعًا ويومًا عشرًا. طبعًا يقصدان من الأبل.

فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: القوم فيما بين التسعمائة والألف. وهذا يعني أن كل 100 رجل يأكلون جملاً واحداً، وهذه مسألة رياضية.

ثم قال لهما: فمن فيهم من أشراف قريش ؟ قالا: عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البختري بن هشام وحكيم بن نوفل .. الخ ما ذكراه من كبراء مكة، فأقبل رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم على الناس فقال: هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها. أ. هـ.

يمكننا أن نلاحظ أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم لم يكتفي بالقدرة الإلهية التي كان من الممكن أن تكفيه وتمنحه كل المعلومات والنصر، وكل ما هو مطلوب في أول مواجهة بينه وبين المشركين، وإنما بالإضافة لتلك القوة الجبارة أعتمد على الكثير من الجهد البشري، منها:

1- إن جمع المعلومات عن العدو يمكن أن يعد أهم وسيلة للنصر، فمن غيرها يكون الإنسان أعمى، ولا يستطيع أن يتخذ قراراً، لذلك أرسل العيون لتأتيه بالأخبار والمعلومات التي يحتاج إليها.
2- لا يوجد حدس في الموضوع، وإنما لأنه لم يجد ضالته عند الغلامين استخدم صلى اللّه عليه وسلم الفكر العلمي في

استنباط المعلومات، فعرف من خلال عملية حسابية بسيطة العدد التقديري للمشركين.

3- بعد سماع الغلامين علم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أن القافلة قد هربت، وأنه الآن أمام جيش جاء ليظهر قوته وبطشه ويؤكد للعرب كافة أنهم هم أسياد الصحراء.

4- ولأن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قد علم أنه يقاتل المشركين أرسل هنا أول رسالة تحفيزية لجيش المسلمين حينما قال: "هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها"، وهذا مؤشر للنصر لمن يمكن أن يقرأ ما بين السطور.

وعندما أنهى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كل الترتيبات البشرية لجلب النصر، واستحثاث الهمم، وبعدما عدل الصفوف رجع إلى مقر القيادة، فدخله ومعه فيه أبو بكر الصديق، ليس معه فيه غيره، إذا برسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول: "اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرضِ".

ويقول الراوي: وبالغ في الابتهال، فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأَتَاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التَزمه من ورائه، وقال: "يا نبي اللّه، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك"، ثم انتبه فقال: "أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر اللّه، هذا جبرِيل آخذ بعنان فرس يقوده، على ثناياه النقع".